الأربعون النووية

المحاضرة السادسة عشر

وانتهت الأربعين بالرحمة | آخر خمس أحاديث

الحمد لله ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، أما بعدُ..

أهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء الأخير بفضل الله سبحانه وتعالى من هذه السلسلة الطيبة المباركة مدارسة كتاب الأربعين النووية للإمام النووي عليه سحائب الرحمة

نسأل الله أن يتقبّل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يجعل هذه الأحاديث في موازين الحسنات، وأن يُنضِّر وجوهنا ،

قال صلى الله عليه وسلم :

"نضَّرَ اللهُ امرأً سمع مقالتي فأدّاها كما سمعها، فربّ مبلّغٍ أوعى له من سامع"

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يستعملنا في البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اليوم عندنا تحدٍّ أن ننهي الأحاديث الخمسة الأخيرة من الكتاب، وإن شاء الله تكون أحاديث يسيرة، فنذكر أهم الفوائد في كل حديث.

الحديث الثامن والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" إنَّ اللهَ تعالى قال :من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ مما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه . " رواه البخاري

هذا الحديث من الأحاديث القدسية، وقد تقدّم معنا تعريف الحديث القدسي، وبيان الفرق بينه وبين القرآن والحديث النبوي .

قول الله تعالى في الحديث: **"آذنتُه"** أي :أعلمتُه وأخبرتُه، فالآذان في اللغة يعني الإخبار والإعلام.

● المسألة الأولى:

هذا الحديث أصلٌ عظيم في بيان صفة أولياء الله الصالحين، فقد قال شيخ الإسلام **ابن تيمية رحمه** الله: **"هذا الحديث أشرف حديث بُيّنت فيه صفة أولياء الله سبحانه وتعالى"**

فقد بيّن الله تعالى فيه من هم الأولياء الذين يحافظون على الفرائض ويتقرّبون إليه بالنوافل، ثم بيّن قدرهم عنده، وأنه يُعادي بل يُحارب من يُعاديهم أو يؤذيهم.

وبيّن سبحانه وتعالى الطريق إلى محبته جل في علاه، ولا شكّ أن الوصول إلى محبة الله هو غاية السعادة، ففيها صلاح الدنيا والآخرة، إذ كل السعادة أن يُحبّك الله سبحانه وتعالى ثم بيّن سبحانه وتعالى ثمرة هذه المحبة، فإذا أحبّ الله عبدًا وفّقه وأعانه وسدّده في أقواله والحديث فيه فوائد عظيمة جدًا .

● المسألة الثانية :

قوله تعالى :**"من عادى لي وليًّا"** من هو الوليّ ؟

أولياء الله هم سادات العُبّاد، وعلى رأسهم الأنبياء، فالأنبياء هم سادات الأولياء بلا شك، ثم يأتي بعدهم الأولياء وهم دون الأنبياء .

والفرق بين الأنبياء ومن بعدهم أن الأنبياء معصومون من الخطأ، **أما غيرهم** من الأولياء فليسوا بمعصومين، وإن بلغوا من المنزلة ما بلغوا، فهم بشر قد يخطئون، لكنهم سريعو التوبة إذا زلّوا، ومقلّون من الخطأ، مجتهدون في طاعة الله وترك معصيته.

وقد عرّف الله سبحانه وتعالى أولياءه في قوله تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٦٣) }** [يونس]

فصفة الأولياء**{ آمَنوا}** يعني :أصحاب عقيدة قويّة وسليمة، ليسوا من أهل البدع،

{وَكَانُوا يَتَّقُونَ} :يتّقون غضب الله تعالى بفعل الواجبات وترك المحرّمات، ثم بيّن هذا الحديث أنّهم يزيدون بفعل النوافل وترك المكروهات.

فالوليّ ببساطة هو الذي يفعل الواجبات، ويترك المحرّمات، ويزيد من المستحبّات قدر ما يستطيع حتى يصل إلى أعلى درجة ممكنة في ذلك، ويترك المكروهات، ثم هو في ذلك يخاف الله سبحانه وتعالى، مخلص، مشفق على نفسه، عنده توكّل وإستعانة ورضا وصبر، وأعمال القلوب عالية جدًا عنده.

و واردٌ أن الوليّ يقع في خطأ ما، فإذا وقع في خطأ فإنّه يُسارع بالتوبة

لذلك الوليّ ليس له صورة معيّنة في مفهومنا الإسلامي، فالوليّ **لا** يلزم أن يلبس لباسًا معيّنًا، أو يكون له شكل خاص، بل الوليّ قد يكون شخصا **عاديا**،

"رُبَّ أشعثَ، أغبرَ، مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه"

قد يكون هذا الوليّ طبيبا في عمله، قد تكون إمرأةً ربّة منزل، قد يكون عاملًا في مصنع، أو فلاحًا في أرضه، لا يلزم أن يكون من العلماء أو الدعاة، ولا أن يلبس لباسا متقشّفًا، ولا أن يكون شكله غريباً .إذا توفّرت فيه هذه الصفات فهو من أولياء الله سبحانه وتعالى.

فإذا تحقّقت له الولاية فإنّه ينال فضلًا عظيمًا جدًا، يكون في رعايةٍ خاصّةٍ عند الله سبحانه وتعالى، وعنايةٍ لا ينالها فعلًا إلا الأولياء، ومنها أنّ الله سبحانه وتعالى يتولّى الدفاع عنه، ويُعادي من يُعاديه، بل يُحارب من يُعاديه.

"مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"

أي :أعلمتُه بالحرب، أي أنّي سأُحاربه . ومن ذا الذي يقدر على حرب ربّنا !من أصعب الأمور أن تُعادي وليًّا من أولياء الله الصالحين.

الحذرَ الحذرَ من أن نسبَّ العلماء أو نطعن في نواياهم، فقد يكون هذا من معاداة الأولياء، فإنتبه.

وفي هذا الحديث بشارة لأهل الإيمان وأهل الولاية، أن الله سبحانه وتعالى تكفّل بحرب أعدائهم فلا تُشغل نفسك بالدفاع عن نفسك، إنّما إشغل نفسك بأن تصل إلى منزلة الولاية، ثم الله يتولّى الدفاع عنك.

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج : 38]

• المسألة الثالثة :

الله يحبّ الفرائض فأحسن فيها، جاء في الحديث:

"وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ"

فهذا الحديث بيانٌ لأنّ الله سبحانه وتعالى أعلى ما يحبّه من الأعمال هو الفرائض، وهذا الحديث يضع لنا أصلًا في أولويّات العمل وكلمة أولويّات العمل تكرّرت في عدّة أحاديث، كما في حديث الرجل الذي قال :**يا رسول الله أرأيتَ إنْ أحللتُ الحلال وحرّمتُ الحرام، وصمتُ رمضان، وصلّيتُ المكتوبات؟**

فهذه الأحاديث كانت تُبيّن أولويّات العمل: **"بُنِي الإسلامُ على خمس"**

فهذا الحديث يؤكّد هذا المعنى :أنّ **الدين أولويّات**، ومن بابٍ آخر أنّ الفرائض هي أعلى شيءٍ يحبّه الله سبحانه وتعالى، وهذا يثمر **أمرين:**

- تصحيح النظر إلى الفرائض
- تعديل بوصلة الأولويّات

البعض كما بيَّنا من قبل يعتقد :أنه يريد أن يعمل عملًا عظيمًا، أو إتزامًا مميزًا، ويريد أن يقدِّم لله شيئًا جديدًا أو مختلفًا، فيزهد في الفرائض، ويقول :الفرائض أيُّ أحدٍ يعملها، يا شيخ قُلْ لي على شيء من النوافل أركِّز فيه، **أريد سرًّا جديدًا !**

فنقول له :يا أخي، **لا جديد** .طريق الأولياء ما زال هو طريق الأولياء، لا يُستجدُّ فيه شيء، وإنما سِرْ على درب من سبقك، فقد كانوا يُحسنون **الفرائض أولًا**، ثم يتبعونها بالنوافل .فمن لم يُحسن الفرائض لم يُحسن النوافل، ومن أسقط الفرض **ماذا يُغني عنه النفل؟ !**

أنا كإنسانٍ أريد أن أسير في طريقٍ صحيحٍ إلى الله، فأول شيء أفعله أن أضبط الفرائض وأُصحِّحها، تكون عنايتي بصلاة الظهر أكثر من عنايتي بسنَّة الظهر، وعنايتي بصلاة الفجر أكثر من عنايتي بسنَّة الفجر، وعنايتي بصيام رمضان أكثر من عنايتي بالتراويح، وعنايتي بصلاة العشاء أعظم من عنايتي بقيام الليل .هذه هي أولويّات العمل.

وللأسف بعض الناس يُؤدِّي الفرض كيفما إتفق، ثم يبدأ يخشع ويتقن النوافل ويقول :هذه بيني وبين ربِّي، فيتعامل معها بإتقانٍ زائد، فنقول له :هذا خطأ في ترتيب أولويّاتك.

فإذا أردت طريق المحبَّة فإبدأ بما يُحبّه الله سبحانه وتعالى.

وللأسف بعض الناس **قد** يُشغله عملٌ مستحبٌّ عن فرضٍ، فيكون مثلًا منشغلًا بالدعوة أو بتحفيظ القرآن أو بعملٍ إجتماعيٍّ، ثم يُقصِّر في فرائضه الأساسية.

فقد يكون شابٌّ مهتمٌّ بالدعوة إلى الله، ولكنه مقصِّر في برِّ والديه.

وقد تكون أخت منشغلة في دار التحفيظ، ولكنها مقصِّرة في حقِّ زوجها.

وقد يكون أحدهم يعمل في خدمة الناس، ثم يُؤدِّي الصلاة كيفما كان، ويقول :أنا مشغول في عملٍ خيريٍّ.

فنقول له :**هذا الفرض ركِّز فيه جيِّدًا، فهو أهمّ من كلِّ شيءٍ آخر**.

فالشاهد أنّ هذا الحديث يُعيد ترتيب الأولويّات في حياتنا.

- **المسألة الرابعة :**

طريق الولاية هو الإجتهاد في النوافل بعد إتقان الفرائض ،وقد جاء في الحديث: **"وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ"**

كل عبادةٍ في الإسلام لها نوافل، فالصلاة فيها فرضٌ ونفل، والصيام فيه فرضٌ ونفل، وصلة الرحم فيها فرضٌ ونفل، وطلب العلم فيه فرضٌ ونفل.

بعد أن تُتمّ الفرائض، إبدأ بالإنطلاق في النوافل وزِد على قدر ما تستطيع، والأهم من الزيادة هو الثبات؛

فقوله صلى الله عليه وسلم : **"لا يزال"** تدل على **المداومة**، فليس الشأن أن تعمل نوافل كثيرة مرة واحدة ثم تتركها، لا، بل إعمل عملًا يسيرًا وواظب عليه، ثم زِد شيئًا فشيئًا مع المداومة، فهذا أحبّ إلى الله.

وأحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلّ، وكان عمل النبي صلى الله عليه وسلم ديمة، أي دائمًا مستمرًا.

المداومة على العمل مهمة جدًا، لأنها:

- **أوّلًا :**تُعوّد النفس على الخير، فحين يداوم الإنسان تعتاد نفسه على الطاعة
- **ثانيًا :**تُشغل القلب عن الشيطان، فحين يستمرّ العبد على عملٍ صالحٍ لا يجد

الشيطان طريقًا إلى قلبه.

- **ثالثًا :**المداومة قرينة الزيادة، **فمثلًا** إذا قال شخص :سأبدأ بثلاث ركعاتٍ من

قيام الليل فإستمرّ عليها أسبوعًا أو أسبوعين، كانت صعبة في البداية، ثم سَهُلت عليه، وبعد فترةٍ يجد في نفسه رغبةً في الزيادة، فيقول :أجعلها خمسًا، ثم تَسْهُل الخمس، فيجعلها سبعاً.

إذن، المداومة تُسهّل العمل، وتدعو إلى الزيادة، فالأولياء دائمًا في حالِ زيادةٍ مستمرةٍ، كما قال الله تعالى:**{ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** [الحجر : 99]

إذا أردت أن تعرف الآن **هل أنت تُحبّ الله أم لا؟**

فالموضوع سهلٌ جدًا، فالإدعاء سهل، لكن الدليل على المحبة أن تبحث عمّا يُحبّه الله

فمن أحبّ الله صدقًا، تجده شغوفًا بإتقان الفرائض، يُحاول كل يومٍ أن يُحسّن أداءه أكثر من اليوم الذي قبله، ثم يكون لديه نَهَمٌ وشوقٌ في الإنطلاق إلى النوافل كلما علم أن المواظبة على النوافل تزيده قربًا ومحبةً عند الله، يجد في هذه النوافل لذّةً عظيمة.

والشخص فعلًا يشكو إلى الله تقصير طلبة العلم في النوافل، فترى بعض البنات والشباب اللهم بارك يحضرون الدورات، ويحفظون القرآن، ويجلسون للدعوة عبر الإنترنت، لكن لا يُصلّون قيام الليل أصلًا، وورد القرآن يوم ويومان ثم ينقطع، وصيام النوافل ضائع، فإذا جاء الشتاء قالوا في الصيف لا نقدر، والتقصير شديد جدًا.

وتجد الناس البسطاء اللهم بارك يحافظون على أورادٍ ثابتة، منهم من يختم القرآن في عشرة أيام ومنهم من يختمه في سبعة أيام، بينما طالب العلم مُقصّر !وهذا لا يليق.

نريد أن نخرج من الأربعين النووية بإنسانٍ جديد، فقد قلنا إن هذه الأحاديث كفيلة بأن تكون منهج حياة، وتغييراً كاملًا وشاملًا في السلوك والإيمان.

إستحِ من الله أن تكون طالب علمٍ وليس لك أوراد، وليس لك نوافل، وليس لك حالٌ مع الله سبحانه وتعالى، ليس لك أورادٌ ثابتة في الصلوات، والصيام، والأذكار، أذكار الصباح والمساء والإستغفار، والتسبيح، والتهليل، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

ما نفعل؟ كيف حالك بالطريق إلى الله ؟ هذا هو طريق الأولياء.

فإذا أردت أن تقول: **"**أنا أحبُّ ربّي**"**، فقل ما شئت، لكن يبقى الفيصل والعلامة الحقيقية هي طاعة الله سبحانه وتعالى في إتقان الفرائض واتباعها بالنوافل.

والشأن ليس في الأرقام والأعداد، بل في الإحسان والإتقان.

في النهاية، **لا تقل :** جئتُ لك بوِرد، أو قرأتُ جزءًا، أو صلّيتُ إحدى عشرة ركعة من قيام الليل، **بل السؤال هو: كيف صليت؟ أين الخشوع؟ وكيف كان الأداء؟**

لا يكن يومُ صومك ويومُ فِطرك سواء، فالمؤمن في ترقٍّ دائم وتحسينٍ مستمر، وهذه هي حقيقة الولاية.

- **المسألة الخامسة :**

وهي ثمرة أن يُحبَّك الله

لاحظ في الحديث أنّ الله سبحانه وتعالى حين تكلّم عن الفرائض قال :إنّه يُحبّ الفرائض، أي يُحبّ العمل نفسه، كلما أديت الفريضة فإنّ الله يُحبّ عملك، لكنّه لم يَصِف بعدُ أنّه يُحبّك أنت.

فإذا زدتَ في النوافل، إنتقل الحبّ من العمل إلى العامل، فصار الله يُحبّك أنت شخصيّاً.

فانظر إلى الفرق:

✓ طوال ما أنت في الفرائض، يقول الله: **"أحبّ الفريضة"**

✓ أمّا إذا أدّيت النوافل، قال الله: **"أحبّ العبد نفسه"**

فإذا وصلت إلى هذه المرحلة، مرحلة أن الله أحبّك أنت هنا تأخذ الثمرة.

ثمرات محبة الله لعبده :

1) أن يحفظك الله ويحفظ جوارحك وأعمالك.
2) أن يُيسّر لك الطاعة ويصرف عنك السوء.
3) أن يُعينك ويحميك ويستجيب دعاءك.
4) أن يُصعّب عليك المعصية ويجعل قلبك يأنف منها.

قال تعالى في الحديث القدسي:

"كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ"

معنى قوله : **"كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ "**

المعنى ليس أنّ الله تعالى يكون هو السمع ذاته، حاشاه سبحانه، وإنما المقصود :أوفّقه في سمعه، وأسدِّده، وأُعينه.

وقد ورد في رواية أخرى للحديث: **"فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَمْشِي، وَبِي يَبْطِشُ"**

أي أنّ الله يُوفّق عبده ويسدّده في سمعه وبصره وجوارحه كلّها.

"كنتُ سمعه" أي :أعينه وأسدّده فيما يسمع، فلا يسمع إلا خيرًا

و"كنتُ بصره"أي أوفّقه وأسدِّده في نظره، فلا يرى إلا ما يُرضي الله

فتجد نفسك سبحان الله تجلس في مجلسٍ فيُقدّر الله أن يأتيك من يُسمِعك كلمةً مؤثّرة، أو نصيحةً توقظ قلبك ، وتجد نفسك تُحبّ سماع القرآن، وتأنس بمجالس العلم، وتنفر من الموسيقى والأغاني والمهرجانات، وتشعر أنّها لا تُناسبك ولا تُدخل قلبك، وذلك لأنّك من أولياء الله الذين سدّدهم الله في سمعهم.

وأما قوله : **"بصره الذي يُبصر به"**، فالمعنى أنّ الله يُوفّقك في نظرك، فحين تمشي في الطريق ، يكون نظرك إعتبارًا وتأمّلًا في خلق الله، تنظر إلى السماء أو إلى مشهدٍ من مشاهد الكون فتتذكّر عظمة الخالق.

وقد ترى أمامك ما يُغضب الله، فلا تلتفت إليه أصلًا، بينما غيرك يقول :ما هذا التبرّج؟ ! وأنت تقول :لم أنتبه، لم أر شيئًا !

سبحان الله، هذا توفيق من الله لك في بصرك.

قد يُعرض أمامك مقطعٌ سيّئٌ أو صورةٌ غير لائقة، فتجد نفسك تنفر منها فورًا وتقول : "أعوذ بالله"، ولا تجري وراءها، بل يُصرف قلبك عنها .هذه علامة من علامات الوصول إلى محبّة الله.

وأمّا قوله : **"رجله ويده"**، فالمعنى أنّ الله يُوفّقك في مشيك وعملك ،

فتجد رجلك تسعى إلى المساجد، وإلى مجالس القرآن والعلم وتجد يدك لا تظلم أحدًا، ولا تمتدّ إلى أذًى، بل تعمل في الخير، وتعين الناس، وتحمل متاع الضعيف، وتبذل وتخدم.

فيجعلك الله مُسدَّدًا، موفقًا، محفوظًا من الوقوع في المعصية ،حتى لو أُتيحت لك، تجد نفسك تنفر منها، أو يُقدّر الله أن تُحجَب عنك، فلا تصل إليك أصلاً.

لذلك، كان يُقال عن أحد السلف :**إنه لا يُحسن أن يعصي الله**، أي لو حاول أن يرتكب معصية لما إستطاع، فهي لا تأتي معه أصلًا .

قالوا : **"كان لا يُحسن أن يعصي الله سبحانه وتعالى"**

ولو حدث كما قلنا سابقًا إن الولي قد يُخطئ فإنه يجد وحشة شديدة في قلبه، ولا يجد أي إستمتاع أو لذة في المعصية، بل ما إن يفيق حتى يسارع إلى التوبة.

من ثمرات أن يحبك الله أنه يستجيب دعاءك. ويمكن أن نضع عنوانًا لذلك :

"من أسباب إستجابة الدعاء :التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض"

الأمر سهل جدا إن كانت لك دعوة منذ مدة تدعو بها ولا تُستجاب، فأحسن الفرائض، وإتبعها بالنوافل، ثم واصل الدعاء، وسترى بإذن الله الإجابة، لقوله سبحانه في الحديث القدسي: **"وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ"**

واضحة جدًا، فحين تصل إلى مقام المحبة، وتدعو الله، فإن الله تعالى يُعطيك سُؤلك ويُحقق دعاءك.

قوله تعالى في الحديث : **"وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ"**

أي إذا كان عندك خوفٌ أو تهديد، أو خَشيتَ على أولادك أو مالك، فاستعِذ بالله، وأطلب منه الحماية والعون، فإنه سبحانه يضمن لك الرعاية والوقاية والحماية، وهذه كلّها ثمرة من ثمار حبّ الله لعبده.

وإذا أردت أن تعرف مقامك عند الله، فانظر كيف أقامك، فإن وجدت نفسك مُيَسَّرًا للطاعة، فذلك مقامك عند الله ، وإن وجدت نفسك ميسَّراً للمعصية، فذلك أيضًا مقامك عند الله.

فكفى بالإدعاءات، فإن التطبيق العملي هو الدليل على مقامك عند الله سبحانه وتعالى.

● المسألة السادسة :

كما بيَّنا، فإن هذا الحديث أصلٌ عظيم في بيان أحوال أولياء الله عنده سبحانه وتعالى، وفي بيان العلامة على حبّ الله تعالى، وثمرات هذه المحبّة، والطريق الموصِل إليها.

وبذلك تمّ معنا الحديث الثامن والثلاثون بفضل الله جلَّ في علاه.

****

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ" حديثٌ حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما .

● المسألة الأولى:

هذا الحديث أصلٌ كبيرٌ جدًا في أبواب الأحكام.

وإن كان بعض العلماء قد ضعَّف إسناده، إلا أن الإمام النووي رحمه الله قال :**هو حديث حسن**.

وللأمانة العلمية، فقد قال بعض العلماء بضعفه، ولكن مع ذلك بقي معمولًا به عند الفقهاء والعلماء كافة، **لماذا؟**

لأن الأصول التي دلَّ عليها هذا الحديث ثابتةٌ في آياتٍ أخرى وأحاديث صحيحةٍ كثيرة، منها: **{ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ}** [الأحزاب : 5]

وقوله تعالى: **{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}** [البقرة : 286]

وقوله أيضًا: **{إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا}** [النحل : 106]

فدلَّت هذه الآيات على تجاوز الله سبحانه وتعالى عن الخطأ والنسيان والإكراه

فهو معنىً ثابت بالكتاب والسنة، حتى وإن كان في الحديث بعض الخلاف في سنده.

ولذلك، ما زال العلماء يستدلّون به في أبوابٍ كثيرةٍ جدًا من الفقه والمعاملات وغيرها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

● **المسألة الثانية :**

الحديث فيه بيان قدر النبي صلى الله عليه وسلم وفضل هذه الأمة.

ومن أين أتينا بهذا الكلام؟ من قوله صلى الله عليه وسلم : **"تجاوز لي"**

تأمّل قوله : **"لي"**، فهي لفظة عظيمة، تدل على أن هذا الفضل خُصَّ به النبي صلى الله عليه وسلم

ولهذا قيل إن الأمم السابقة لم يكن هذا الحكم عندهم، بل كانوا يُؤاخذون حتى وإن وقع منهم الخطأ أو النسيان أو في حال الإكراه، أمّا هذه الأمة فقد خُفّف عنها كثير من الأحكام بسبب إستجابتها لله سبحانه وتعالى.

قال تعالى : **{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}** [البقرة : 286]

وقد نزلت هذه الآية نتيجة لإستجابة الصحابة لما قالوا : **{سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }** [البقرة : 285]

فقال الله تعالى لهم: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}** [البقرة : 286]

فقال الله سبحانه : **"**قد فعلت، قد فعلت. **"**

ففي هذا الحديث كرامة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه شرفٌ لهذه الأمة المرحومة التي نالت من التخفيف والرحمة ما لم تنله أمة قبلها كما قال الله تعالى :**{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة : 143]

فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومِمّا زادني شرفًا وتيهًا

وكدتُ بأخمصي أطأُ الثريّا

دخولي تحت قولك يا عبادي

وأن صَيَّرتَ أحمدً لي نبيّا

صلى الله عليه وسلم

- **المسألة الثالثة :**

ما تعريف الخطأ، والنسيان، والإكراه؟

- **الخطأ:**

هو ما وقع منك بغير قصدٍ أو عمد، كأن يكون شخصٌ يلعب بالكرة، فتصيب الكرةُ أحدًا فتؤذيه فهذا خطأ لأنه لم يقصد الإيذاء.

ومثاله أيضًا ما جاء في الحديث :**أن رجلًا من شدّة الفرح قال : "اللهم أنت عبدي وأنا ربك"**، فقد أخطأ من شدّة الفرح، ولم يتعمّد ذلك.

فالخطأ إذاً :ما صدر منك بغير قصدٍ للفعل نفسه.

- **النسيان:**

هو أن تترك الفعل نسيانًا بعد أن كنت تعلمه.

فالجاهل لا يعرف أصلًا، أما الناسي فهو يعرف ولكن ذهل عنه في تلك اللحظة.

ومثال ذلك :من نسي ركعةً في الصلاة، فهو يعلم أن الصلاة أربع ركعات، لكنه نسي فصلى ثلاثًا، فهذا نسيان.

- **الإكراه:**

هو أن يُجبَرك أحد على فعل شيءٍ لا تُريده.

والإكراه نوعان :

✓ **الإكراه المُلجئ تمامًا:**

وهو أن يُسلب الإنسان إختياره كليًا، كمن يُقيَّد ويُمسك به ليضرب أحدًا، أو يُفتح فمه ويُصب فيه الماء وهو صائم، فهذا لا إختيار له أصلًا.

✓ **الإكراه غير الملجئ:**

وهو أن يكون للإنسان نوع إختيارٍ، لكنه يُضطر للفعل تحت تهديدٍ بالقتل أو الضرب أو السجن ونحو ذلك

وعمومًا، فالأمور الثلاثة(الخطأ، النسيان، الإكراه)قد عفا الله عنها فضلًا وكرمًا منه سبحانه وتعالى.

● المسألة الرابعة :

العفو هنا المقصود به العفو عن حقّ الله تعالى، وليس عن حقّ الآدمي.

بمعنى :إذا كان في المسألة حقٌّ للآدميين، فلا بد من أداء الحقوق إليهم.

فمثلًا:

رجلٌ قتل آخر خطأً، كأن يكون يصطاد فخرجت منه طلقةٌ فأصابت إنسانًا فمات، فهذا قتل خطأ لا إثم عليه، لكنه مطالبٌ بدفع الدية؛ لأن ذلك حقّ الآدمي.

فتسأل :**ولماذا يدفع ما دام خطأً؟**

نقول :لأن الله عفا عن حقّه، لكن حقوق العباد لا تسقط إلا بالأداء.

وكذلك من أتلف مالًا لغيره خطأً، فعليه تعويض صاحبه، وإن لم يأثم.

ومن نسي أن يسدّد دينًا ثم تذكّر بعد سنوات، فلا يُقال له :نسيانك عذر، لا، بل يجب أن يسدّد؛ لأن ذلك حقّ آدمي.

إذًا فالمسائل التي فيها إتلافات أو ديون أو حقوق للناس يجب ردّها إلى أصحابها، أما العفو المذكور في الحديث فهو في حقوق الله سبحانه وتعالى فقط.

● **المسألة الخامسة :**

ما يمكن إستدراكه من حقّ الله تعالى فإستدركه

أي :إذا كان الفعل من حقوق الله، ويمكن تداركه بعد الخطأ أو النسيان، فالواجب أن تُبادر بإستدراكه ما دام الوقت متاحًا.

فمثلًا:

✓ من نسي ركعةً من الصلاة ثم تذكّر بعد السلام، لا يكتفي بالقول "عفا الله عن النسيان"، بل عليه أن يأتي بالركعة ويسجد للسهو.

✓ ومن طاف بالبيت ونسي عدد الأشواط، فشكّ هل طاف ستًّا أم سبعًا، ولم يترجّح عنده شيء، يبني على الأقلّ ويُكمل السابعة.

أما ما لا يمكن تداركه من الأفعال، فهنا يكون العفو التامّ.

✓ فمن تكلّم في الصلاة خطأً مثلًا، لا يمكنه تدارك الكلام بعد وقوعه، فيسكت ويُعفى عنه.

ولهذا، فالمُحرَّمات(المنهيات)غالبًا لا يمكن تداركها بعد وقوعها، لأنها فعل محظورٍ قد تمّ وانتهى، أمّا المأمورات(الأوامر)فيُمكن تداركها إذا وُجد الوقت والقدرة.

ومثال ذلك: رجلٌ كان في بلدٍ أوروبيّ، وجاءه أول يومٍ من رمضان، لكنه نسي، ولم يعلم أنه بدأ الصوم، ثم في اليوم الثاني علم أنّ أمس كان أول يومٍ من رمضان، فعليه أن يصوم قضاءً، لأن هذا واجبٌ تركه نسيانًا، لكنه يمكن تداركه بالصيام لاحقاً.

مثالٌ آخر :لو أنّه في اليوم الثاني من رمضان صام، ثم شرب وهو صائم نسيانًا، فماذا عليه؟ لا شيء، لأنه فعل منهيًّا عنه لكن على سبيل الخطأ، ولا يمكن تداركه، فهذا ضابطٌ مهمٌّ جدًا لفهم هذه المسألة.

- **المسألة السادسة :**

ما هو الإكراه المعتبر في الشرع؟

تحدّثنا في الحديث السابق عن مسألة الإكراه، وقلنا باختصار :إن له نوعين أساسيين:

- **النوع الأول :**الإكراه المُلجئ، وهو الذي ليس لك فيه أيّ إختيار.

كأن يُقيّدك أحد، أو يربطك، أو يُجبرك على الشرب وأنت صائم، فهذا لا إختيار لك فيه أبدًا.

وعند جميع العلماء لا إثم عليك، وهذا متفق عليه أن فيه عفوًا كاملًا.

- **النوع الثاني :**إكراهٌ لك فيه نوعُ إرادةٍ، لكنك تضطرّ إلى الفعل بسبب تهديدٍ أو خوفٍ من أذًى معتبر.

وهنا يُشترط لإعتبار الإكراه شرعًا عدة ضوابط:

✓ **الضابط الأول:**

أن يكون التهديد معتبرًا شرعًا، أي فيه أذًى بالغ، مثل التهديد بالقتل، أو بالضرب الشديد، أو بالسجن الطويل المؤذي.

أما التهديدات البسيطة مثل: **"**سأغضب منك**"**، أو **"**لن أكلّمك**"**، أو **"**سأسخر منك**"**، فهذه لا تُعتبر إكراهًا.

وكذلك من تقول الناس يسخرون من حجابي أو يقولون مظهري غير جميل، فخلعته خوفًا من كلامهم، فهذا ليس إكراهًا؛ لأنك لستِ مضطرة لذلك.

✓ **الضابط الثاني:**

أن يكون الشخص الذي يُهدّدك قادرًا على تنفيذ التهديد فعلًا.

فلو كان ضعيفًا لا يقدر أن يفعل شيئًا، فتهديده لا يُعتدّ به.

فمثلًا :إن قال لك شخص أضعف منك : **"**لو لم تفعل كذا سأضربك**"**، وهو لا يستطيع ضربك أصلًا، فهذا لا يُعدّ إكراهًا.

وكذلك إذا قال لك والدك : **"لو فعلت كذا سأقتلك"**، وأنت تعلم أنه لا يفعل ذلك أصلًا، فهذا أيضًا لا يُعتبر إكراهًا، لأنك تعلم أنه يُهدّد فقط، ولن يُنفّذ.

✓ **الضابط الثالث:**

أن يغلب على ظنّك أن هذا الشخص سينفّذ تهديده بالفعل، لا أن يكون مجرّد كلامٍ عام.

فبعض الناس يقول : **"لن ألتزم، لأن الملتزمين يُسجنون"**، أو **"لو أطلقت لحيتي أو لبست النقاب ربما يُؤذَون"**، وهذا ليس إكراهًا، لأن الإحتمال ضعيف، ولا يوجد تهديدٌ مباشر أو غلبة ظنٍّ بوقوع الضرر، فليس كل خوفٍ عامٍّ يُعتبر إكراهًا.

✓ **الضابط الرابع:**

أن هناك أشياء لا يُكره عليها الإنسان شرعًا مهما كان التهديد.

مثل :القتل، فلا يجوز أن يُكره الإنسان على قتل نفسٍ معصومة.

قال العلماء :**أقصى ما يمكن أن يقع عليك هو القتل، ونفسك ليست بأكرم من نفس غيرك، فلا يجوز أن تقتل لتنجو بنفسك.**

وكذلك الزنا، فلا يجوز أن يُكره أحدٌ على الزنا أو على إنتهاك عرض إمرأة، لأن هذا إعتداءٌ على حقٍّ للغير، وهو جريمة عظيمة كجريمة القتل.

ففي مثل هذه الأمور لا يُعذر الإنسان حتى لو أُكره، لأنها جرائم في حقّ الآخرين.

لكن عمومًا، إذا توفّرت شروط الإكراه الشرعي فإضطرّ الإنسان إلى أن يفعل عملًا من الأعمال التي يُسمح بفعلها تحت الإكراه، فلا إثم عليه.

ومثال ذلك ما وقع لسيدنا **عمّار بن ياسر رضي الله عنه**، حين أُكره على سبّ النبي صلى الله عليه وسلم لينجو من التعذيب الشديد، ففعل ذلك بلسانه، وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان، ثم بكى وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فيه قوله:

{إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} [النحل : 106]

فمثل هذا الفعل إذا وقع من الإنسان تحت الإكراه الحقيقي، فإن الله سبحانه وتعالى يعفو عنه حتى لو كان الكلام الذي صدر منه كلمة كفر، مادام قلبه ثابتًا على الإيمان.

وبهذا انتهى الحديث التاسع والثلاثون بفضل الله سبحانه.

****

الحديث الأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبيَّ فقال: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ "

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. " رواه البخاري، عليه سحائب الرحمة.

بمنكبيَّ :أي بكتفيَّ

- **المسألة الأولى:**

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة جدًا في بيان نظرة المسلم إلى الدنيا، والطريقة التي علَّم بها النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر رضي الله عنهما تدل على خطورة المعنى وعِظم المقصود.

قال الراوي : "أخذ بمنكبيَّ" أي وضع يده على كتفيَّ، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له إنتبه، ما سأقوله لك أمرٌ خطيرٌ جدًا.

فالكلام الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم أصلٌ عظيم في الزهد في الدنيا، والرغبة فيما عند الله، وإعادة النظر في مفهوم الحياة والغاية منها.

من أنا؟ ولماذا وُجدت؟ وما دوري؟ وأين المصير؟ كل هذه الأسئلة يُجيب عنها الحديث بجملة واحدة: **"كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"**

أي أنك لست من أهل هذه الدار، بل عابرٌ فيها إلى دارٍ أخرى.

لو أدرك الإنسان هذه الحقيقة، سيتغيّر فكره وسلوكه، فكما يُقال :السلوك مرآة الفكر.

فكيف تنظر إلى نفسك؟ وكيف ترى الدنيا؟ كلّ ذلك ينعكس على سلوكك وتعاملاتك وإهتماماتك.

طالما ترى نفسك "غريبًا" أو"عابر سبيل" في الدنيا، فسيختلف أداؤك كلياً، ونظرتك للأشياء لن تكون كمن يرى نفسه مقيماً فيها إلى الأبد.

ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على كتف ابن عمر فيه أسلوب تربويٌّ نبويٌّ رفيع في توصيل المعلومة، وهذا الفعل أثّر في ابن عمر حتى صار يروي الحديث بلفظه.

ولهذا نقول : **التواصل الجسدي في التعليم مؤثّر جدًا**، أن تنظر في عين من تحدّثه، أو تضع يدك على كتفه، أو تعبّر له عن مودّتك قبل نصيحته، هذه كلّها أساليب نبوية تربوية عظيمة.
وهذا مبحثٌ تربويٌّ مهمّ جديرٌ بالبحث تحت عنوان:

"الطرق التربوية التي إستعملها النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة. "

مثل القصة، والسؤال، والحركة الجسدية، وغيرها من الأساليب التي تُقرّب المعلومة إلى القلب والعقل.

● المسألة الثانية :

لماذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الغريب وعابر السبيل؟

لأن هذا المثال هو أدقّ وصفٍ لحال المسلم مع الدنيا.

"غريبٌ" أي إنسان يعيش في بلدٍ ليس بلده، يعمل فيها ليجمع رزقه ثم يعود إلى وطنه الأصلي. فهو مهما أقام فيها يشعر بالغربة، ويعلم أنه ليس هنا للبقاء، بل للعبور.

أما "عابر السبيل" فمرتبتُه أعلى، لأنه ليس حتى مستوطنًا مؤقتًا، بل هو مسافر يمرّ مروراً عابراً، كمن ينزل ترانزيت في بلدٍ ساعاتٍ أو يومين.

في كلا الحالتين الغريب أو العابر هو إنسانٌ تركيزه على الهدف، لا يضيّع وقته في تفاصيل المكان المؤقت، بل يفكر في بلده الأصلية وعودته إليها.

فالغريب لا يشتري ما لا يحتاج، ولا يُسرف، ولا يُغيّر هاتفه كل يوم، ولا يلهو في الملاهي، بل يعيش بحسابٍ وهدفٍ واضحٍ أن يجمع الزاد ويعود.

وكذلك المسلم في الدنيا، غريبٌ فيها، لا يراها وطنه، بل دار ممرّ لا دار مقرّ، وهو يعلم أن الرجوع حتميٌّ إلى الله إما إلى الجنة دارنا الأولى، أو إلى النار والعياذ بالله.

قال ابن القيم رحمه الله:

فَحَيَّ على جناتِ عدنٍ

فإنَّها منازلُنا الأولى وفيها المخيَّمُ

ولكنَّنا سبيُ العدوِّ فهلْ ترى

نعودُ إلى أوطانِنا ونسلَمُ؟

الشيطان هو الذي سبانا من ديارنا، ولهذا نشعر بالغربة في هذه الدنيا.

قال صلى الله عليه وسلم : **"طوبى للغرباء. "**

فحين تفهم أنك "غريب"، ستعيش كالغريب : تعمل، وتتحرك، وتسعى، لكنك لا تتعلّق بالمكان.

وهذا لا يعني ترك العمل أو الإعتزال، بل يعني أن تعمل في الدنيا وقلبك معلّق بالآخرة.

كما يعمل المسافر في بلدٍ غريبة، يجتهد في العمل، لكن فكره دائمًا في بلده التي سيعود إليها.

فالفكرة في النية والإتجاه العقلي: **أين قلبك؟ إلى أين تسير؟ ما خطتك؟ ما غايتك؟**

تعيش وتعمل وتأكل وتشرب كغيرك، لكن قلبك ليس هنا.

كل يوم تنتظر"تذكرة العودة"، تنتظر اللقاء بالله، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: **"إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ. "**

أي كن مستعدًا دائمًا للرحيل، فلا تدري متى تنتهي رحلتك.

فالمسافر لا يُعمّر المكان الذي يقيم فيه مؤقتًا، بل يبني ويُجهّز لما بعده، ولا ينشغل بما لا فائدة منه فإن بنى أو عمل، فعمله لدار إقامته الأصلية لا لهذه الدنيا.

وهذا هو الزهد الحقيقي أن تترك كل ما يشغلك عن الآخرة، ولو كان مباحاً

ولهذا قال الله تعالى: **{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}** [النازعات : 46]

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ. } [الروم : 55]

{"وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} [يونس : 45]

فإذا علمت أن الدنيا كلها مجرد ساعة **كما يقول الشاعر**

"الدنيا ساعةٌ فاجعلها طاعة. **"**

قال الشاعر:

إنَّ للهِ عبادًا فُطَنًا

طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنَا

نظروا فيها فلمّا علموا

أنها ليست لحيٍّ وطنًا

جعلوها لُجّةً واتخذوا

صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنًا

وقال **سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه: "ارتَحلتِ الدنيا مُدبرةً، وارتحلتِ الآخرةُ مُقبلةً، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناءِ الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا"**

● **المسألة الثالثة :**

هذا الحديث يغيّر مفهومك في الحياة، ويؤثّر على تصرّفاتك، لأننا قلنا إنّ السلوك مرآة الفكر، فحين يتغيّر الفكر يتغيّر السلوك تلقائيًّا.

الذي فهم معنى الحديث لن يقضي يومه على التريندات، ولن يكون مشغولًا بكلّ ما هو دنيويّ تافه؛ لأن هذا لا يليق بمن فهم أنه"غريب" أو "عابر سبيل"

من يعيش في الدنيا كأنها وطنه الحقيقي ليس غريبًا ولا عابر سبيل، بل هو مقيمٌ فيها.

لكن المؤمن يعلم أنه في إستراحة مؤقتة في طريق السفر،**فهل يُعقل أن ينشغل المسافر في الإستراحة بالتفاصيل الصغيرة؟ هل يُضيع وقته في تجربة كل المطاعم والأكلات؟**

ليس حرامًا، ولكن نحن لا نملك رفاهية الوقت.

ابن عمر رضي الله عنهما يقول لك: **"إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح"** أي كن مستعدًّا في كل لحظة للرحيل، فربما لا يأتي الغد.

فكأن ابن عمر يقول: "اصحُ صباحًا على يقينٍ أنك ستموت عند المغرب، واشتغل على هذا الأساس. "

ومن يعمل بهذه القاعدة لن يضيع وقته في اللهو أو متابعة كل جديدٍ من متاع الدنيا.

حين تدرك أن الدنيا قصيرةٌ جدًا، يسهل عليك العفو، فلو حدثت مشكلة بينك وبين أحد، تذكّر قوله تعالى: **{وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}** [الحجر : 85]

فتقول لنفسك :لا وقتَ للخصومات، ولا للمشاحنات، فالقيامة قريبة.

يسهل عليك أن تعفو، ويسهل أن تعتذر، ويسهل أن تُعرض عن الجدال والخصام، لأنك تفهم أن المسألة كلها رحلة قصيرة جدًا.

كما يسهل عليك ألا تنافس الناس في الدنيا؛ لأن المنافسة الحقيقية هناك، في الدار الآخرة.

هل رأيت أحدًا في الاستراحة ينافس الآخرين في الطعام أو الشراب؟

أبدًا، فكلٌّ يأكل ما يقيم صلبه ويواصل طريقه، لا يهمّه ما يأكل غيره ولا ما يلبس.

فهذا الحديث يعالج الحسد، والرياء، وحبّ المقارنة، ويعلّمك أن لا تلتفت إلى ما يملكه الآخرون، ولا يهمّك سيناريو حياتك مقارنةً بغيرك.

أنت غنيٌّ أو فقيرٌ لا فرق، المهم أن كل ما تفعله يُقرّبك إلى الله.

الذي يُتعبك فقط هو ما يُبعِدك عن الدين.

لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم **"إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي"**

وقال صلى الله عليه وسلم: **"اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّي ولا مبلغ علمي"**

وقال صلى الله عليه وسلم: **"اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا"**

فهذا هو ميزان النجاح في الدنيا :أن يبقى الدين محفوظًا مهما تغيّرت الأحوال.

الدنيا مثل السيارة:أركبها، وأعتني بها، وأُصلحها، وأُبدّل زيتها، لكن لأجل أن تُوصلني إلى هدفي،لا لأقف بجانبها وأتصوّر معها.

فالذي إنشغل بالدنيا عن الطريق، كمن جلس بجانب السيارة يتصوّر معها ولم يركبها في النهاية، بينما الذي إهتمّ بها لتُوصله، هو المؤمن الزاهد، هو الغريب، هو العابر سبيل الفَهْمَان، الذي يعلم أنه جاء إلى هنا ليعود إلى بلده .أمّا الذي جاء هنا وصرف كل أمواله، وعمّر فيها، ثم يُقال له :إرجع إلى بلدك، فيقول :لم أُدَّخِر شيئًا !فيُقال له :إذًا إبقَ هنا، أنت من أهل الدنيا، وقد ضاعت عليك آخرتك، وضاع عليك أهلك وبلدك، ولن ترجع إليها أبدًا.

فإذا فهمتَ هذا الكلام، فسيظهر ذلك في سلوكك بتقديم الآخرة دائمًا على الدنيا، لأن من علم أنه غريب أو عابر سبيل، يُقدّم أمر الآخرة على كل أمرٍ دنيوي.

أنا لستُ باقٍ هنا، فإذا تعارضت مصلحتي الدنيوية مع مصلحتي الأخروية، أُقدِّم التي تُرضي الله وتخدم آخرتي.

إمرأة عُرض عليها عمل بشرط أن تخلع حجابها، تقول :سلام، حجابي أولى، فعملي للدنيا لا يُقدَّم على ديني.

رجل يهتم بدراسته، وبماجستيره، وبأبحاثه، لكنه لا يتعلّم دينه، هذا خلل في الميزان.

شخص يُنظِّم يومه بدقة، لكن لا يُنظّم مواعيد صلاته، فإذا جاء موعد الإجتماع أو الدوام، نسي الصلاة أو أخّرها، فنقول له :أنت لم تفهم بعد لماذا خُلقت.

لابدّ أن يكون أمر الآخرة دائمًا مقدّماً على أمر الدنيا.

- **المسألة الرابعة :**

وهي قول ابن عمر رضي الله عنهما: **"خُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ"**

ما معنى هذا الكلام؟ له معنيان:

- **المعنى الأول:**

طالما أنت بصحة جيدة ، إعمل على قدر إستطاعتك؛ لأنّ أحدًا لا يضمن الغد، ولا يعلم ماذا سيحدث غدًا.

كثيرٌ من الناس في وقت صحتهم تمنّوا أعمالًا صالحة، ثم ذهبت الصحة، فندموا أنهم لم يفعلوها.

كان يمكنه أن يحفظ القرآن في شبابه، أما الآن فقد كبر، وضعفت ذاكرته، وصار يعاني. كان يمكنه أن يحج وهو قويّ، فإذا به يؤخّر الحج حتى يهرم، فيحتاج من يُحمله، ومن يُعينه، ويتحوّل الحج من متعةٍ روحية إلى مشقّةٍ بدنية.

إذًا تعجّلوا، فكل ما تقدر على فعله في صحتك فإفعله قبل أن تُصاب بمرضٍ يمنعك.

خُذوا نصيحة المرضى وكبار السن، فكلّهم يقولون: **"**يا بني، لو عاد بي الزمان لحفظت القرآن، وتعلّمت ديني، وإهتممت بطاعتي**"**

فإغتنم صحتك قبل مرضك، شبابك قبل هرمك، طاقتك قبل ضعفك.

أذكر ما قاله أحد الحجاج بعد عودته، حين سُئل :ما نصيحتك؟

قال: **"**حِجّ وأنت صغير. **"** ولم يقل غيرها.

وحين جرّبتُ الحج وأنا صغير، أدركتُ كم كانت نصيحته عظيمة؛ فالفارق شاسع بين أن تحجّ وأنت شابّ قوي، أو أن تحجّ وأنت ضعيف تتمنى القدرة على أداء المناسك.

- **من معاني قوله : خذ من صحتك لمرضك**

أي أكثر من العمل الصالح في حال الصحة، فإنه يُكتب لك حال المرض.

قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا. "**

أي أن من كان مواظبًا على العمل الصالح، وإستمرّ عليه، ثم إنقطع عنه لمرضٍ أو سفر، كُتب له أجره كاملًا كما كان وهو صحيح مقيم فالمواظبة ثمرة عظيمة من ثمار الإيمان.

خذ الثمرة الجديدة من الحديث السابق : **"ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل"**، أي المواظبة.

إذا كنت مواظبًا على الصيام ثم مرضت، فكتب الله لك أجر الصيام.

وإذا كنت مواظبًا على قيام الليل ثم أقعدك المرض، كُتب لك أجر القيام كاملًا، كأنك تصلي قائمًا.

وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**"إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول :إني إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليتُه، فإنه يقوم من مضجعه كيوم ولدته أمه من الخطايا .ويقول الرب عز وجل :أنا قيَّدتُ عبدي وابتليتُه، فأجروا له كما كنتم تُجرون له وهو صحيح"**

أي أن الله سبحانه وتعالى يجزيه بأجر العمل الذي كان يفعله قبل مرضه، بل ويغفر له خطاياه بسبب صبره ورضاه.

- **المسألة الخامسة :**

معنى قول ابن عمر رضي الله عنهما: **"خُذْ مِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"**

قوله: **"خذ من حياتك لموتك"** أوسع من قوله : **"خذ من صحتك لمرضك"**، لأن المعنى هنا شاملٌ لكل العمر، لا لمرحلةٍ معينةٍ منه، أي:كل ما تستطيع أن تعمله في حياتك فإفعله، لأن الموت قادمٌ لا محالة، وميعاده غير معلوم.

ولذلك جاءت النصيحة العظيمة التي تصلح أن تكون عنوان حياةٍ كاملة :**"إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح"**

هذه الوصية كما قال العلماء حلٌّ لكل مشكلات الدنيا.

تأمّل مثلًا: رجل عنده إمتحان غدًا، لو أيقن أنه سيموت عند المساء، فكيف سيذاكر اليوم؟

سيبذل كل طاقته، وسيتعامل مع يومه كأنه آخر يومٍ في عمره.

تخيّل أنك تستيقظ كل صباحٍ وتقول لنفسك:**"**أنا سأموت عند المغرب**"**

ستعمل بجدٍّ وإجتهادٍ عجيب، وستحرص على أن تملأ يومك بالطاعة والعمل.

ثم إذا جاء المغرب ولم تمت، قلت : **"**الحمد لله، مدّ الله في عمري إلى الفجر**"**

فتعيش الليل بنفس الروح : **"إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح"**

هكذا يعيش المؤمن بنظام نصف يومٍ بنصف يوم، فيكون أداؤه عاليًا جدًا، لأنه يعيش كل لحظةٍ وكأنها الأخيرة.

ولهذا نحن نقول أذكار الصباح والمساء كل يومٍ، وكأننا نجدد العهد مع الله تعالى كل نصف يومٍ، نُذَكّر أنفسنا أن العمر قصير، وأن الرحلة قاربت على الانتهاء.

نحن في هذه الدنيا يا أخوة مثل من دخل مسابقةً محدودة الوقت، قالوا له : **"**ادخل هذا المكان، ستجد فيه جواهر، وأمامك ساعة واحدة، إجمع ما تستطيع، وبعد ساعة سنُخرجك. **"** فماذا سيفعل؟ هل سيجلس يشاهد المباريات؟ هل سيتابع الترينداتِ؟ هل سيضيّع وقته في اللهو، أو كثرة النوم، أو الأكل، أو العلاقات؟

أبدًا، بل سيقول :هيا بنا ننجز بسرعة !دعونا سريعا نجمع!

هذه هي حقيقة قوله رضي الله عنه : **"خذ من حياتك لموتك"**

أنت في غرفةٍ مغلقةٍ وقتك فيها محدود، فإجمع ما تستطيع من الحسنات قبل أن يقال لك : أخرج.

وصيةٌ مبهرةٌ وعظيمة، من عمل بها شعر بصلابةٍ وقوةٍ عجيبةٍ في الحياة.

الذي يعيش بهذا الإحساس لا تهزه المصائب، ولا تضعفه الخسائر، لأنه يعلم أن النهاية قريبة جدًا، وأن كل ما يحدث زائل.

المؤمن الذي يعيش كأنه غريب أو عابر سبيل، يكون صلبًا، ثابتًا، لا تؤثر فيه التغيّرات.

أما الذي يظن الدنيا دار إقامةٍ، فإنه يتأثر بكل شيء،يُحزنُه فقدُ شيء، ويُغضبُه حرمانُ لذة، ويتعب من كل كلمةٍ تُقال له، فإذا فاتته متعةٌ ظنّ أن الدنيا إنتهت.

لكن المؤمن الحقيقي يقول: نحن ماشين، أنا لا يفرق معي أكل ولا شرب، المهم أن أصل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم **"ما لي ولِلدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ، ثم راح وتركها"**

أي أن المؤمن في الدنيا كمسافرٍ إستراح قليلًا ثم واصل طريقه، لا يهتم بزخرفها، ولا يطيل المكث عندها.

وهذا الفهم يجعل الإنسان قويًّا على الشيطان، لأن من علم قِصَر عمره، زهد في وساوس الدنيا، وإشتغل بما ينفعه، وإستعدّ للقاء الله.

وبهذا ينتهي الحديث الأربعون بفضل الله .

****

الحديث الواحد والأربعون:

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ". حديثٌ حسنٌ صحيح.

والحقيقة أن في هذا الحديث خلافًا؛ فقد ضعّفه بعض العلماء، ولكن معناه بلا شكٍّ صحيح.

● **المسألة الأولى:**

هذا الحديث أصلٌ عظيمٌ في الإتباع، وفي إنقياد القلب لأحكام الشريعة، وفي حبّ الإنسان لهدي النبي ، وأنه يخالف هواه إذا تعارض مع القرآن والسنة، بل يجاهد نفسه حتى يتوافق هواه مع ما جاء به الله وما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم.

والناس في هذا منازل:

✓ قد يكون أحدهم منقادًا ظاهرًا لكنه داخليًّا يخالف هواه.

فمثلًا :يصلي، لكنه لا يجد في نفسه رغبةً شديدة في الصلاة، إنما يصلي لأن الله أمره .هو لا يكره الصلاة، لكنه كسولٌ عنها، لا يقوم إليها بنشاطٍ.

ومثلها من تلبس الحجاب لأنها تعلم أنه أمرُ الله، وهي راضيةٌ بحكم الله، لكنها في داخلها لا تشتهيه بطبعها، فهي تفعله طاعةً لا هوى.

✓ أما المرتبة الأعلى فهي أن يكون هوى الإنسان نفسه متّسقًا مع الشريعة، فيبدأ

يتعلّم، ويتأمّل في حكم الله، ويرى رحمته بعباده، فيرى كلّ حكمٍ شرعيٍّ جميلًا، وكلّ أمرٍ من أوامره لحكمةٍ ورحمةٍ .ومع المجاهدة والعلم، يجد أن هواه بدأ يتوافق مع مراد الله سبحانه وتعالى، وحينها تسهل عليه الطاعة ويخفّ حملها، لأنه صار يحبّها.

قال أحد السلف :**"جاهدتُ هواي حتى صار هواي في المجاهدة"**

أي :صار طبعه وهواه يميل إلى مخالفة الهوى في معصية الله.

فالموضوع يحتاج إلى مجاهدةٍ وتعبٍ وبذلٍ حقيقيٍّ، حتى يصل الإنسان إلى هذه المرتبة العالية جدًا.

وقوله صلى الله عليه وسلم **"حتى يكون هواه"**، أي ما تميل إليه نفسه، أي لا يكون ميل النفس إلا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● المسألة الثانية :

المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: **"لا يؤمن أحدكم"** ليس أنه كافر، بل المقصود أنه لا يؤمن الإيمان الكامل.

وهذا مرَّ معنا في أحاديث كثيرة، أن نفي الإيمان هنا ليس نفيًا لأصله، وإنما نفيٌ لكماله.

فمن لم يكن هواه متّسقًا مع مراد الله، ينقص إيمانه بقدر هذه المخالفة.

لكن طالما كان منقادًا وراضيًا بحكم الله فهو مؤمن، غير أن كثرة التعارض بين الهوى والشريعة تُنقص من قدر إيمانه.

أما الإيمان الكامل، فهو أن يكون الهوى كله تابعًا لمراد الله سبحانه وتعالى.

وللتقريب، مثلُ ذلك مثلُ شخصٍ كان سمينًا، فذهب إلى طبيب تغذيةٍ فوضع له نظامًا غذائيًّا قاسيًا، فيه مصلحته وسلامته .في البداية كره هذا النظام، لكنه التزم به، وكان يعرف أن الطبيب صادقٌ فيما يقول، ولم يكن معترضًا عليه، لكنه لم يكن يحبّه بعد.

وبعد فترةٍ من الالتزام، بدأ يشعر بالنتائج :صحته تحسّنت، شكله أصبح أجمل، ثيابه أصبحت تناسبه، الناس يمدحونه، وزنه خفّ، وطاقته زادت، فبدأ يحب النظام الذي كان يكرهه في البداية.

وهكذا شأن المؤمن مع أوامر الله.

في أول الأمر، قد يشقّ عليه بعض الأحكام، أو يجد في نفسه ثِقَلًا، لكنه إذا إستمرّ وجاهد نفسه، وذاق بركة الطاعة، ووجد الخيرات والسكينة التي فيها، حينها يُحبّ ما كان يكره، ويصير هواه تبعًا لما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

● المسألة الثالثة :

نقول إن توافق الشريعة مع الهوى لا يقدح في الإخلاص.

بعض الناس يقول : **"يا شيخ، أنا أصلِّي، لكن أشعر أني أصلِّي لأنني أحب الصلاة، فهل هذه لله؟"**

فنقول له :يا بُني، هذه نعمة عظيمة من الله، وليست نقيصة.

بل إحمد الله أن جعلك تحب الطاعة، فكونك تميل إلى العبادة وتأنس بها، هذا من تمام فضل الله عليك.

فأنت لا تُصلِّي لنفسك، وإنما تُصلِّي لله،لكن الله رزقك حب الصلاة، وجعل هواك موافقًا للشريعة، فصرت تجد في الطاعة لذّة، وهذه من علامات القبول.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : **"وجُعلت قرة عيني في الصلاة"**

وقال صلى الله عليه وسلم: **"أرحنا بها يا بلال"**

فمحبة الصلاة، أو الصيام، أو العمرة، أو الذكر، لا تُنافي الإخلاص،بل هي من دلائل أن الله أكرمك بأن صار هواك تابعًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فأنت تعبد الله، لا نفسك، ولكن الله شرح صدرك للطاعة فصارت محبوبة إليك.

● المسألة الرابعة :

نماذج مبهرة من السلف في تطويع الهوى ليوافق الشريعة:

سنذكر بعض الأمثلة السريعة على ذلك:

✓ عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِه، ووالدِه، والناسِ أجمعين"**

قال عمر رضي الله عنه: **"والله يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيءٍ إلا من نفسي"**

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا يا عمر، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك"**

فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن غيّر هواه فورًا، فقال مباشرةً: **"الآن يا رسول الله، أنت أحب إليَّ من نفسي"**

أي أنه أَخضَعَ هواه، وأعاد توجيه قلبه حتى صار مطابقًا لما يحبه الله ورسوله.

✓ **جابر بن عبد الله رضي الله عنه**

يقول :دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم بيته، فدخل على **السيدة عائشة رضي الله عنها**، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:**"ما عندنا من الطعام؟"** قالت :**ما عندنا إلا الخل**، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :**"نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ"**

يقول جابر رضي الله عنه: **"فما زلت أحب الخل منذ سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم"**

أي أنه لم يكن يحب الخل أصلًا، لكن لما علم أن النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، صار يحبه هو أيضًا،حتى صار هواه تبعًا لهوى النبي صلى الله عليه وسلم .

✓ **أنس رضي الله عنه وأرضاه يقول:**

كان جالسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هناك دُبَّاء أي نوع من القرع يشبه الكوسة وقرع العسل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويتتبعه في الطعام.

فيقول أنس رضي الله عنه: **"فما زلت أحب الدباء من يومئذٍ"**

أي أنه لم يكن يحبه من قبل، لكنه أحبّه منذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأكله.

تأمّل هذا الموقف العجيب!

أنس رضي الله عنه أحبّ طعامًا لم يكن يحبه، فقط لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم أن يحبوه، ولم يقل لهم :كلوا الدباء، بل كانت عادة من عاداته صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك أحبّه الصحابة موافقةً له في كل شيءٍ، حتى في الأمور العادية التي لم يأمرهم بها!

فكيف لو قال صلى الله عليه وسلم عن أمرٍ ما إنه مستحب أو واجب أو فرض؟

كيف سيكون حال من أحبّ الله ورسوله حقًّا؟

لا شك أنه سيغيّر كل شيءٍ في نفسه ليجعل هواه موافقًا لمراد الله سبحانه وتعالى.

وحين يتسق الهوى مع ما يحبه الله، تصبح العبادة جميلةً، وخفيفةً، وسهلةً على النفس،

بل يجد فيها لذّةً وأنسًا، لأنها صارت نابعةً من قلبٍ محبٍّ لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فهذا هو المعنى الإجمالي لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به".**

الحديث الأخير معنا في هذه الأربعين المباركة وهي في الحقيقة اثنان وأربعون حديثًا،

لكنها سُمِّيَت الأربعين النووية من باب التقريب

وهو الحديث الثاني والأربعون.

****

الحديث الثاني والأربعون :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً. " رواه **الترمذي، وقال :حديثٌ حسنٌ صحيح.**

الله أكبر، الله أكبر على جمال هذا الحديث، وحسن ختام الإمام النووي به!

فقه، وعلم، وجمال.

وماذا يرجو الإنسان في آخر أعماله إلا المغفرة؟

● **المسألة الأولى:**

هذا الحديث أصلٌ عظيمٌ في بيان سعة رحمة الله تعالى، وبيان الأعمال التي توصل إلى هذه الرحمة.

فقد ذكر في الحديث **ثلاثة أعمالٍ عظيمة** توصل إلى مغفرة الذنوب:

1) الدعاء
2) الاستغفار
3) التوحيد

وقد أحسن الإمام النووي رحمه الله في ختم كتابه بهذا الحديث،لأنه متسقٌ مع طريقة الشريعة، فإن الأعمال كلها تُختَم بالإستغفار.

في الحج قال تعالى: **{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ}** [البقرة : 199]

وفي الصلاة، بعد الإنتهاء منها، أول ما نقول: **"**أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله**"**

والناس بعد قيام الليل قال الله عنهم: **{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}** [الذاريات : 18]

بل حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلّها خُتمت بالاستغفار، فلما نزلت عليه **سورة النصر**، وهي من أواخر ما نزل عليه، قال تعالى: **{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(3) }**

فكان من فقه الإمام النووي أنه ختم بحديثٍ فيه التوبة والإستغفار وطلب الرحمة من الله تعالى، وكأنه يتودد إلى الله بهذا الحديث ويقول :يا ربّ سامحني واغفر لي إن كان مني زللٌ أو خطأ.

كما بدأ كتابه بحديث الإخلاص : **"إنما الأعمال بالنيات"**، ختمه بحديث الرحمة والمغفرة، وكأنه يستبشر ويحسن الظن بالله أن يغفر له ويرحمه.

نسأل الله أن يغفر لنا وله، ويرحمنا جميعًا برحمته الواسعة، اللهم آمين، اللهم آمين.

● المسألة الثانية :

أن الدعاء سببٌ عظيمٌ من أسباب المغفرة.

تأمّل قوله تعالى في الحديث القدسي: **"إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي"**

إذًا :مجرد أنك تدعو الله وتلجأ إليه برجاءٍ صادق، فهذا وحده سببٌ لمغفرة الذنوب.

ولاحظ هنا أنه لم يقل :بماذا تدعو؟

فقد يظنّ البعض أن الدعاء هنا مقصود به طلب المغفرة فقط، لكن الله تعالى قال بعدها : **"ثم استغفرتني غفرتُ لك"**، فلو كان المقصود بالدعاء الإستغفار نفسه لكان الكلام مكرّرًا، إذًا المقصود بالدعاء هنا عموم الدعاء.

أي أنك لو دعوت الله بأي دعاءٍ، وتوسلت إليه برجاءٍ صادق،فهو سببٌ لمغفرة الذنوب.

وهذا كلامٌ عظيمٌ جدًا؛ لأنه يعني أن الدعاء، أياً كان موضوعه، إذا خرج من قلبٍ حاضرٍ راجٍ متذلل، كان سببًا لمغفرة الذنوب.

قال النبي صلى الله عليه وسلم **"ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء"**

فالله يحب الدعاء جدًا، يحبّ أن يسمع صوت عبده، ويحب أن يراه رافعًا يديه، راجيًا عفوه، حتى إن مجرد الدعاء، ولو لم يُستجب بعد، يكون سببًا في مغفرة الذنوب ورحمةٍ عظيمة.

لكن إنتبه، الحديث يُشير إلى أن المسألة ليست دعاء الغافل اللاهي الذي لا يعي ما يقول، بل يقول الله تعالى : **"ما دعوتني ورجوتني"**،

أي أن الدعاء المقرون بالرجاء الصادق، والخشوع، وحضور القلب، والتذلل، هو الذي يصنع الأثر، ويجلب المغفرة.

فالحديث كأنه يقول لك:إن أردت أن يكون لدعائك أثرٌ عظيم، فإهتم بجودته، لا بطوله.

فإذا دعوت الله بقلبٍ حاضرٍ، وخضوعٍ تام، فقد غفر الله لك.

فحين تدرك هذا المعنى، وتعلم أن الدعاء نفسه مغفرة، تصبح ترى الدعاء لا كوسيلةٍ لطلب شيء، بل كغايةٍ في ذاته، فأنت لا تدعو فقط لتُستجاب دعوتك، بل لأن الدعاء نفسه عبادةٌ، ومغفرةٌ، وقربٌ من الله سبحانه وتعالى.

كما جاء في الحديث : **"الدعاء هو العبادة"**، أي أنك حين تدعو الله تعالى فأنت في عبادةٍ خالصة، تمارس عملاً عظيمًا يحبه الله جلّ وعلا.

وحين تدرك هذه الحقيقة، أنك بمجرد أن تدعو الله بخشوعٍ وتدبّرٍ يُغفر لك ذنبك وأنت في حال الدعاء، سيتحوّل الدعاء في نظرك من وسيلةٍ إلى غاية، ومن طلبٍ للحاجة إلى طريقٍ للقرب من الله.

فلن تدعو الله بعد الآن فقط عند الشدائد أو الحاجات، بل ستدعوه دائمًا، في كل وقتٍ وحال، في السراء والضراء، في الليل والنهار.

ومن الخطأ الشائع بين الناس أن يروا أحدًا يرفع يديه فيقولوا: **"ما به؟ أله حاجة؟ أصابته مشكلة؟"**

وكأن الدعاء لا يكون إلا في الأزمات!

كلا، إن الدعاء عبادةٌ دائمة، وسنةٌ نبويةٌ ثابتة، تمارسها في سجودك، وفي ركوعك، وفي الأسحار.

أدعُ الله كثيرًا، حتى دون سببٍ ظاهر، لأنك في الحقيقة مفتقرٌ إليه في كل لحظةٍ من حياتك.

وهل يقدر الإنسان أن يستغني عن ربه؟ بل حتى أنفاسنا لا تكون إلا بإذنه سبحانه.

فإجعل الدعاء ملازمًا لك دائمًا، رفيقًا لقلبك ولسانك.

قال الله تعالى في الحديث القدسي:**"إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي"**

تأمل هذا الكرم الإلهي العظيم!

مجرد أن تدعو الله بصدقٍ ورجاء، يغفر لك على ما كان منك ولا يُبالي.

وقد يقول قائل: **"لكنني لا أحسن الدعاء، لست حافظًا للأدعية. "** فنقول له:الأمر يستحق أن تتعب لأجله قليلاً.

إبحث، جرّب، تعلّم، إحفظ بعض الأدعية النبوية، وداوم عليها، خصص وقتًا كل يوم للدعاء، واليوم التالي سيكون أفضل من الذي قبله، حتى تجد نفسك قد تعلّقت بالدعاء تعلقًا لا يُوصف.

وقد قال أحد السلف الصالحين: **"إني أسأل الله وأدعوه في أمرٍ ما، فيفتح الله عليّ من المعاني والأنوار والعبادات القلبية، ما يجعلني أقول :ليته لا يستجيب لي! "**

أي من شدة الحلاوة والأنس التي يجدها في الدعاء، صار يخشى أن تُرفع حاجته فينقطع عن تلك اللذة الروحية العظيمة.

فأحيانًا يكون تأخّر الإجابة نعمةً، تزيدك لذّةً في المناجاة، وخشوعًا في القلب، ومغفرةً للذنوب، حتى تغدو العبادة أحبّ إليك من قضاء الحاجة نفسها.

فكن على يقين: سواء إستجاب الله لك عاجلاً أم أجّلها، فالمؤمن لا ينقطع عن الدعاء أبدًا، لأنه وجد متعة القرب من الله في ذات الدعاء نفسه، ولأنه يعلم أن لحظة رفع اليدين وإهتزاز القلب بالرجاء هي في ذاتها أعظم من أي شيءٍ يُطلب بالدعاء.

● المسألة الثالثة :

ومن أسباب المغفرة طبعًا كثرة الإستغفار.

قال في الحديث : **"يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء"**

أي بلغت السحاب، وهذا تعبير عن المبالغة في كثرة الذنوب، أي مهما عظُمت وكثرت ذنوبك، فإنك إن استغفرت الله غفر لك.

يا رب، تغفر لي كل هذه الذنوب؟ نعم، أجل.

وهذه رسالة لكل من يستعظم ذنبه على الله ويقول: يا شيخ، أنت لا تعرف أنا ماذا عملت...

أنا موضوعي صعب.

نقول له :**صعب على من؟!**

قال تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}** [الأعراف : 156]

لذلك، احرص أن يكون لك وِرد إستغفار ثابت كل يوم، إستغفار من قلبك بصدق، إستغفار من يريد أن يُعتَق.

قال صلى الله عليه وسلم **"طوبَى لِمَن وجَدَ في صَحيفَتِه استِغفارًا كثيرًا"**

وكان صلى الله عليه وسلم يُعدّ له في المجلس الواحد أكثر من مئة مرة يقول: **"اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"**

ويعينك على جودة الإستغفار أمور:

1) أن تكثر من إستحضار سيئاتك.

لا تنسَها، بل تذكرها لتجعل لإستغفارك حرارة وصدقًا.

فرقٌ كبير بين من يستغفر وهو يتذكر ذنوبه، وبين من يستغفر بلا إستحضار.

تذكّر، لا لتبكت نفسك أو تحطمها، بل لتجعل إستغفارك حيًّا نابضًا.

2) أن تستحضر ستر الله عليك ونِعَمه رغم ذنوبك.

هذا يولّد في قلبك حالة اسمها الحياء من الله.

ترى تقصيرك أمام إحسانه، فيخرج منك إستغفار مليء بالحياء والخشوع، والحياء لا يأتي إلا بخير.

3) أن تتفكر في أحوال العصاة يوم القيامة.

إقرأ في القرآن والسنة عن ندمهم، وعذابهم، وتحسّرهم، وقل لنفسك :لا، أنا سأستغفر بصدق حتى لا أكون مثلهم.

4) أن تستغفر وأنت طامع في الله لا مانّ عليه.

تعلم من دعاء إبراهيم عليه السلام: **{وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ}** [الشعراء: 82]

إستغفر كمن لا يرى نفسه أهلًا للمغفرة، لكنه يرجو رحمة الله.

5) أن لا تملّ من تكرار الإستغفار وإن تكرر الذنب، فإن الله لا يمل حتى تملّوا.

والشيطان قال لربنا:**"**وعزتِك يا رب، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم**"**

فقال الرب سبحانه:**"**وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**"**

فلا تملّ أبدًا من تكرار الإستغفار، حتى وإن تكرر الذنب، فالله غفّار، والعبد خطّاء،

ولا يزال الرب يتجاوز عن عباده التائبين.

- **المسألة الرابعة :**

التوحيد سببٌ عظيم للمغفرة.

قال تعالى في الحديث القدسي:**"يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة"**

"بقراب الأرض" : أي بما يعادل ملء الأرض.

والشرط هنا واضح : **"لا تُشرك بي شيئًا. "** وهذا هو فضل التوحيد، أن تموت عليه.

فالكافر الخارج من دائرة التوحيد لا يُغفر له قال الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء : 116]

وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ}** . [الأعراف : 40]

فالموحّد عنده أمل كبير في المغفرة، وكلما قويت عقيدته وإزداد توحيده، كان أقرب للمغفرة.

وفي حديث البطاقة المشهور:

رجلٌ أتى الله يوم القيامة بتسعةٍ وتسعين سجلًّا من الذنوب، فقيل له :هل ظلمك الكتبة الحافظون؟

قال :لا.

هل لك عندنا من حسنة؟

قال :لا.

فأُخرجت له بطاقة مكتوب فيها : **"**لا إله إلا الله. **"** فوُضعت البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فطاشت السجلات ورجحت البطاقة!

لأنه صحّح توحيده قبل موته، فصار توحيده عظيمًا.

فينبغي للمسلم أن يقوّي عقيدته دائمًا، ويجعل التوحيد حاضرًا في دعائه.

تأمل دعاء يونس عليه السلام: **{لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين}** [الأنبياء : 87]

وقال صلى الله عليه وسلم عن أعظم الأدعية : **"اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم"**

وقال أيضًا: **"اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم"**

وأخيرًا، قوله تعالى: **"لا تُشرك بي شيئًا"** يشمل الشرك الأكبر والأصغر.

✓ فإحذر من الشرك الأكبر مثل:دعاء غير الله، النذر لغير الله، عبادة القبور، السحر، وإعتقاد أن أحدًا يعلم الغيب إلا الله.

✓ وإحذر من الشرك الأصغر مثل:الحلف بغير الله، تعليق التمائم، التشاؤم، الرياء،

ولتتجنب ذلك كله، تعلم العقيدة الصحيحة .

لدينا سلسلة كاملة(شرح كتاب أصول الإيمان)، إقرأ وتدبر وتعلم ما هو التوحيد وما هو الشرك، **فمن أعظم مهمات حياتك أن تموت وأنت لا تشرك بالله شيئًا.**

فمن لقي الله موحِّدًا غير مشرك، غفر الله له ذنوبه كلها، مهما بلغت كثرتها أو عظمت.

وفي ختام الكتاب نقول:

جزى الله خيرًا الإمام النووي على هذه الخاتمة العظيمة، التي فتحت لنا باب الأمل والرجاء في الله، وعلّمتنا أهمية الدعاء، وأن نجعل لنا وردًا من الإستغفار، وأن نركّز على تقوية العقيدة، ونراجعها دائمًا لنتأكد من سلامتنا من الشرك الأكبر والأصغر.

وفي نهاية هذه الدورة،

إسأل نفسك :**ما الذي تغيّر فيّ بعد هذه المدارسة؟**

إن لم يتغيّر فيك شيء، فكأنك لم تحضر.

لكن لابد أن تخرج منها إنسانًا جديدًا، فهي ليست مجرد دورة، بل منهج حياة.

وأوصيكم أن هذه الأربعين لا تنتهي، بل تُعاد كل فترة، وتُجعل وردًا متجددًا، فهي أعظم أحاديث الإسلام، وعليها مدار الدين كله.

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية والمغفرة، وأن يسامحني إن زللت أو أخطأت، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا،

أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة : 286]

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد

****

جزاكم الله خيرًا

سبحانكَ اللهمَّ ربنا وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك.